

دور المتغير القيادي في فهم المصلحة الوطنية دراسة مقارنة بين الولايات

المتحدة الأمريكية وفرنسا

The role of the leadership variable in understanding the national interest A comparative study between the United States of America and France

تمزور فتحية *، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عمار ثلجي - الاغواط -

f.tamzour@lagh-univ.dz

تاريخ إرسال المقال: 2022/10/04 تاريخ قبول المقال: 2022/10/31 تاريخ نشر المقال: 2023/05/15

الملخص:

إن الشعب الذي حدث بين عالم الدول و عالم متعدد المراكز، كل واحد منهم يخضع لمبادئ متناقضة، ففي حين أن الأول لا يزال يتحرك بدوافع كلاسيكية من شهية للسلطة وحماية لسيادتها، فإن السعي إلى الحكم الذاتي أمر بالغ الأهمية بالنسبة للثانية. و هذه الرؤية للدولة واضحة أيضا عند الاقتصادية البريطانية سوزان سترانج، التي كان مهمتها بشكل خاص بتزايد الشركات متعددة الجنسيات الكبيرة والاسواق المالية الحرة، وكتبت: يبدو أن الممثلين التقليديين والدبلوماسيين والجنرالات أقل حسما من المصرفيين ورجال الاعمال ووسائل الاعلام، في فرنسا، أحد أكثر المؤلفين تمثيلا لهذه المدرسة الفكرية، برتراند بادي، يسر، في الوقت نفسه، انتقام المجتمع المدني على الدولة، وهذا الأخير يرى تحدي أكبر من قبل الفواعل البدائية دون الوطنية العشائر، المجموعات العرقية، القبائل، الاقليات التي تشكل نفسها شعوبا أو عبر الوطنية حركات دينية أو لغوية وهو يأخذ فكرة أن العالم متعدد المراكز يمثل انتصارا لمبدأ الحكم الذاتي.

تعتبر المصالح الوطنية بمثابة القوة الدافعة والمحددة لاتجاهات السياسات الخارجية للدول، وكل اختلاف في تفسير مضمون المصالح الوطنية من جانب أجهزة اتخاذ القرارات المسؤولة، لابد أن يترتب عنه بالضرورة تغييرات مماثلة في مضمون هذه السياسات الخارجية.

وهكذا نجد أن المصالح الوطنية تمثل المقام الأول في مركب علاقات الدولة الخارجية، وإن إدامتها وتعزيزها هي غاية السياسة الخارجية. وبذلك أصبح مفهوم المصلحة الوطنية من أكثر المصطلحات شيوعا في القاموس السياسي والدبلوماسي يستخدمه السياسيون، وصانعو القرار، والمحللون، والمعلقون، وحتى الجمهور غير المختص عند الحديث عن العلاقة بين دولتين.

الكلمات المفتاحية : المتغير القيادي - المصلحة الوطنية.

Abstract:

The preventive policy to confront the phenomenon of corruption is integral part of the The bifurcation that has occurred between the world of states and a polycentric world, each of them subject to contradictory principles, while the former is still motivated by the classical impulses of an appetite for power and protection for its sovereignty, the quest for autonomy is paramount for the second. This view of the state is also evident in the British economist Susan Strange, who was particularly interested in the growth of large multinational corporations and free financial markets, and wrote: "The traditional representatives, diplomats, and generals seem to be less decisive than the bankers, businessmen and media, in France, one of the most representative authors This school of thought, Bertrand Bady, is pleased, at the same time, for civil society's revenge on the state, and the latter sees a greater challenge from primitive subnational actors, clans, ethnic groups, tribes, minorities who form themselves as peoples or transnational, religious or linguistic movements, which is He takes the idea that the polycentric world represents a victory for the principle of autonomy.

National interests are the driving force and determining the directions of the foreign policies of states, and every difference in the interpretation of the content of national interests by the responsible decision-making bodies, must necessarily result in similar changes in the content of these foreign policies.

Thus, we find that national interests represent the first place in the complex of the state's foreign relations, and its maintenance and strengthening is the goal of foreign policy. Thus, the concept of national interest has become one of the most common terms in the political and diplomatic dictionary used by politicians, decision makers, analysts, commentators, and even the non-specialized public when Talking about the relationship between two states.

Keywords: the leadership variable - the national interest.

المحور الاول :المصلحة الوطنية من وجهة نظر القيادة الفرنسية

لا شك فيه ألقى الدور الفرنسي وتناميه المستمر في منطقة الشرق الأوسط محط اهتمام دول المنطقة الإقليمية منها والدولية بصورة عامة بعد أن زاد أكثر حضورا في معادلاتها خصوصا بعد وصول الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون وتبنيه مقاربات جديدة داخلية وخارجية وتخليه عن المقاربات التقليدية في سياسة فرنسا الخارجية اتجاه الجوار الإقليمي ومنطقة الشرق الأوسط من خلال تنويع خياراتها الإستراتيجية ومواقفها حيال القضايا الشائكة. سيما وأنّ مدركات الرئيس الفرنسي تذهب للاعتقاد أنّ مصلحة فرنسا تكمن في عودتها للساحة الدولية وتستخدم بالتالي مكانتها لتعزيز دورها ونفوذها في المنطقة.

وقد أظهر الرئيس الفرنسي مواقفه الواضحة إزاء التحديات الداخلية وانتهج سياسة مغايرة لنظرائه، فسعى لتقوية الأواصر بين المكونات المختلفة للمجتمع الفرنسي ومعارضته للخطابات المتطرفة والتي بدأت مع تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عقب التغييرات التي شهدتها المنطقة العربية، وما أفرزته من معضلات أمنية بسبب تصاعد العمليات الإرهابية في دول المنطقة أبرزت تلك التغييرات تحديا في صعوبة انصهار المهاجرين المسلمين داخل المجتمعات الأوروبية بصورة عامة والمجتمع الفرنسي خصوصا.

أولاً: صناعة لغة الوجدان الداخلي واستدماجها في إطار تجديدي

جعل الرئيس الفرنسي من الجماهير الفرنسية المعبأة عاملاً متنامياً لفهم مسارات تشكيل المتغيرات الأساسية داخل المجتمع الفرنسي من خلال المستويات المختلفة للتعبئة في عملية التحول الداخلي وحرصه في إبقاء قوى اجتماعية صديقة في السلطة بدل إقصائها، ومن المرجح أن يؤدي تفاقم الصراعات الداخلية إلى إضعاف الدولة والقيم الاجتماعية من خلال الانشقاقات الجماعية والهوياتية.

وهكذا أعلن إيمانويل ماكرون خلال خطابه بعد الفوز بالرئاسة الفرنسية أنه سيحارب الانقسام في بلاده وسيدافع عن مصالحها، مؤكداً أنه سيدافع أيضاً عن المصير المشترك لأوروبا، وفي خطاب تم بثه إلى أنصاره المحتشدين أمام متحف اللوفر بباريس، قائلاً سأركز كل جهدي وطاقتي لتحقيق أمانكم وتطلعاتكم، كما قال انه اماننا واجب إزاء بلادنا ونحن ورثة أمة عظيمة وتاريخ عظيم، مؤكداً أنه سيعمل على تعزيز التضامن بين كل الفرنسيين لضمان وحدة الأمة¹، وفي ضوء ذلك أكدت المؤرخة إيزابيل كلافيل أن الرئيس الفرنسي كان بارعاً في التواصل وانتقاء عباراته، فالإصلاح يعني التحديث وهذا الخطاب الذي يتحدث عن التحديث يؤثر كثيراً على قسم من الناخبين، في مساحات الاختلاف ويطمح في حملته الانتخابية أن يستوعب في محاولاته تجاهل أنه ليس من اليسار ولا من اليمين وليس وسطياً وبهذا المعنى هدفه هو إلغاء هذه التصنيفات لتجسيد الحداثة²

مما لاشك فيه استدرجت قضية إعادة تنظيم هيكلية المؤسسات الإسلامية في فرنسا، وفي مقدمتها المجلس الإسلامي الفرنسي مسعى الرئيس الفرنسي، من خلال إخضاعه لأجراء إصلاحات عليه، وبالتالي يسهم في إعادة تنظيم علاقاتها مع الدولة والمجتمع الفرنسيين، الرئيس الفرنسي يصر على تأكيد سعيه لإعادة تنظيم وهيكل منظومة الإسلام في فرنسا لإدماجه في الجمهورية ومكافحة الأصولية على نحو أفضل، وقال ماكرون في حديث نشر في أسبوعية لو جورنال دو ديمانس حيث يجرى إرساء إنه يعمل من أجل استعادة قلب العلمانية والدفاع عن حرية العقيدة حفاظاً على التماسك الوطني والضمير الحر³.

وعلى هذا النحو لا ضير إن عرجنا على دلالة إلى اعتبار أن الإسلام يمثل الديانة الثانية في فرنسا، وينظر إلى المسلمين كجماعة تأبى الاندماج كما ينظر إليها من قبل النخبة الفرنسية على أنها جماعة دينية مهيكلية، وجاءت في هذا الصدد محاولة الرأي العام الفرنسي تثبت تصورات سلبية مناقضة لقيم المجتمع، إن هذا الإنشاء صاغ جملة من التمثيلات عن المسلمين⁴، نعتبر أهمية المقاربة عن الممارسة السياسية للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون والكيفية التي يمكن أن تنتج منطلقاً نحو إعادة هيكلية الإسلام في فرنسا تعبير عن جرأة وشجاعة، بل أكثر من ذلك تزامن ذلك كله مع تأكيده أن الإسلام دين لا كهنوت فيه، هنا بالتحديد تظهر نقطة تمايز مهمة متمثلة بأن طقوس العبادة لا تخضع للوصاية من أي فرد أو مؤسسة تدعي تمثيله، فهو يتعلق بالعلاقة المباشرة بين

المتعبد وره، ولذلك يحق للدولة أن تنظم الهياكل المعنية بشعائر العبادة وفق ما تقتضيه المصالح العليا وبقدر الدستور المدني، خصوصا في بلد علماني مثل فرنسا كما يرى يوسف الصديق في مقابل ذلك اعتبر كثيرون خسارة مارين لوبان، زعيمة الجبهة الوطنية في فرنسا، للانتخابات الرئاسية، عن انتكاسة لليمين المتطرف في فرنسا على نحو جديد، لذلك تداعت تدريجيا سلسلة الهزائم التي منيت بها أحزاب اليمين المتطرف في دول أوروبية كما هو معروف.

ومن المفيد الإشارة هنا تاريخيا، أن ظاهرة اليمين في أوروبا بدأت بالظهور في ثمانينات القرن الماضي مع بداية مقولة استبدال الخطر السوفيتي بالخطر الإسلامي، إذ أن سقوط الماركسية فضلا عن الفراغ الإيديولوجي بعد نهاية الحرب الباردة قاما بتمهيد وتعبيد الطريق لبزوغ اليمين المتطرف في أوروبا وكان سقوط جدار برلين وانهايار المعسكر الاشتراكي وما صاحبه من انكماش اقتصادي على المستوى الدولي قد ساعد على تهيئة الظروف لصعود اليمين المتطرف في أوروبا.⁵ وعليه تشير كارولين امكه إلى أن أخطر شيء يهدد الديمقراطيات اليوم هو ما تسميه بإيديولوجية النقاء سواء الديني أو العرقي وهي تلك الإيديولوجية التي ترفض تجاوز تقاليد وقناعات دينية مختلفة⁶ بصفة عامة انبنى المجتمع الفرنسي على مناخ فكري وثقافي غربي، علاوة على ذلك شكل تدفق المهاجرين المسلمين على فرنسا بفعل ما أنتجته حركات التغيير وبحثهم عن ملاذات آمنة، الأمر الذي انعكس تأثيره بظهور تنامي دور الأحزاب اليمينية المتطرفة داخل أوروبا ودعوتها للحفاظ على الهوية الغربية عبر إذكاء تصورات ذهنية بتمجيد قيم الحضارة الغربية.

وذلك يتبين أن خطاب مارين لوبان ورؤيتها عن الإسلام يجعل منه واقعا بات العدو الأول لفرنسا، لعل ما نلاحظه ونود إبرازه هو أن الجبهة الوطنية اعتبرت التيار الإسلامي لوقت طويل وحتى الثمانينات والتسعينات حليفا ضد النظام الأميركي الصهيوني. فهي تكشف من جهة باستمرار أسلمة فرنسا، رافعة شعار الجمهورية والعلمانية، ومنذ تلك اللحظة بدأت تتدد بالتيار الإسلامي، بوصفه تلك التوتاليتارية المروعة⁷

2. صعود الفردانية وإعادة تشكيل تكوينات الملاحاة الجديدة

كانت الجغرافيا تحدد رؤى قادة الدول، وتؤثر في صناعة قراراتهم في شؤون السياسة الخارجية، وقد كانت هذه المقاربات كفيلة بتنظيم منهج دراسات الذي يرتبط بشكل وثيق بالجغرافيا الإستراتيجية التي تهتم بالسيطرة على المناطق المؤثرة في أمن الدول ورفاهيتها وتأمين الوصول إليها⁸ تكشف مساعي الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون منذ وصوله إلى السلطة، طريقة التعامل حيث أفرد الكثير من الجهد الذي توجه به لإعادة الحيوية للدور الفرنسي حول العالم وخصوصا بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط إما من خلال طروحات وسطية على طريقة لعبة الهزاز الموازنة بين القوى الدولية والإقليمية، وإما تحت عنوان ضرورة التكلم مع الجميع من أجل الاستقرار والسلام⁹.

أكد ماكرون أنه سيدافع عن فرنسا ومصالحها الحيوية كما شدد الرئيس الفرنسي على أن فرنسا ستكون في الطليعة في مكافحة الإرهاب على أرضها وبالخارج إذا لزم الأمر¹⁰. ومنه ارتبطت عملية التحول في الدور الفرنسي بوجود بعض الأحداث الكاشفة عن حجم التحول القائم في توزيع الفاعلين، لذلك ستفرض على فرنسا ضرورة تطوير خطاب جديد في التعامل معها، تفترض المنهجية انتقال الحركة إلى نموذج المتكامل لقرارات التدخل على اعتبار النموذج الأكثر وضوحاً في صوغ إسهامها في المنطقة.

وفي الوقت نفسه أعلن الرئيس الفرنسي في 13 تموز /يوليو عام 2017 في معرض تناوله التقرير الإستراتيجي أن الظاهرة الإرهابية تشكل اليوم الخطر الأكثر جلاء ووضوحاً وتابع لكنها ليست إطلاقاً التهديد الوحيد. فظهور سياسات قوة، والتأكيد عليها يبعثان مخاطر بأن نشهد في اشتعال العالم من جديد ، أدت هذه التطورات إلى تجسيد فكرة أن الإنسان فاعل ومسؤول عما يأتيه من أفعال ، لذلك لا يبدو فك الارتباط بين ما سيجاول ماكرون فعلة بمدى اقترانه على نحو كبير بأسلافه، كما يتجلى ذلك بوضوح في زيادة أصول فرنسا الإستراتيجية إلى حدّها الأقصى في مجالات عضويتها الدائمة في مجلس الأمن الدولي، ووضعتها كقوة نووية، وقدراتها العسكرية بهدف استعادة مكانة فرنسا الضائعة في منطقة الشرق الأوسط، فإن تصوراته موضوعات ذات شأن تستند إلى وجهة نظر المجتمع إزاء أوروبا باعتبارها وسيلة لإبراز القوة والنفوذ الفرنسيين، وللتعويض عن محدودية كون فرنسا قوة متوسطة، والمقصود هنا رسم أطر إقليمية ودولية تكون فرنسا طرفاً رئيساً فيها¹¹

وقد تراجع الدور الأمريكي الملحوظ في المنطقة مطلع عام 2011، يعود إلى جملة أسباب تنصدها رغبة إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما إتباع سياسة تخفيف النشاط العسكري، إلى جانب ذلك برزت تحركات أشارت إلى تطلّع فرنسا للعب دور دولي نشط في المنطقة، وبدا واضحاً أن الدبلوماسية الفرنسية ترمي إلى تنشيط دورها في المنطقة والمضي قدماً في تعزيزه عبر الإسهام في تحريك العمليات التفاوضية للسلام بين كل من السلطة الفلسطينية والإسرائيليين من جهة، وسوريا والإسرائيليين من جهة أخرى، لا سيما بعد نأي الإدارة الأمريكية بنفسها عن هذا المسار¹²

ومع هذه المتغيرات في البيئة الدولية الجديدة تفترض إعادة النظر في الدور الفرنسي على المستويين الإقليمي في أوروبا من ناحية والدور الدولي من جهة أخرى مما يفرض عليها مسؤولية أوروبية وعالمية، كما يشير الكتاب الأبيض الخاص بالعقيدة العسكرية الفرنسية الذي يحدد مستقبل السياسة الفرنسية الأمنية الدفاعية، وجاء في فصله الرابع، أولويات فرنسا الإستراتيجية المتوسطة تحت عنوان :بسط الاستقرار في الجوار الأوروبي والتي كانت تشير بوضوح في الجزء الخاص بالمتوسط إلى أن المتوسط وهو الواجهة البحرية الإستراتيجية للاتحاد الأوروبي، يشكل قلب العلاقات والتاريخ المشترك، وهذه العلاقات الإستراتيجية والاقتصادية والثقافية والإنسانية تتمتع بكثافة خاصة فمصلحنا

مشتركة مع المتوسط والتحديات التي نواجهها واحدة ومنها التحدي الأمني واستقرار المنطقة والتهريب والإرهاب¹³.

3. إعادة إنتاج مرتكزات التوجه الدافع نحو موجبات رسم المواقف

لا شك فيه حين يسلط الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون تفسيره للصراع الداخلي النخبوي بين المهيمنين القدامى أصحاب المصالح التقليدية من جهة والجيل الجديد الراغب في فرض وجوده من جهة أخرى، هذا يقود إلى استخلاص نتيجة يمكن عبرها أن يتضح التمايز مع سلفيه فرنسوا هولاند ونيكولا ساركوزي في استلاب مقارنة السياسة الخارجية، وبهذا التصور، شدد فيه عن رفضه سياسة فريق المحافظين الجدد الفرنسيين على نحو خاص، ويبدو أن مأتى هذا التلميح يربط ما بين أنصار التدخل الدولي الأحادي في عهد جورج بوش الابن في واشنطن، وبين صناع القرار في فرنسا حيال ملفات سوريا وليبيا وإيران في الفترات السابقة¹⁴.

وعليه تسعى فرنسا إلى توسيع نطاق دورها كدولة مهيمنة إلى جانب ألمانيا على المستوى الأوروبي وقوة دولية معنية بأزمات الشرق الأوسط، وهو ما تعكسه الجهود التي تبذلها لتقليص الخلافات بين الدول الأوروبية حول بعض القضايا المحورية على غرار العقوبات المحتملة على إيران. ويتوازي ذلك مع محاولاتها ملء الفراغ الذي سينتج عن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وحرص ألمانيا على وضع سقف لانخراطها في الأزمات الدولية والإقليمية¹⁵.

بناء على ما تقدم إن توافر هذه الاستعدادات الفرنسية يساعد على بناء الفضاء الذي تحقق فيه قواعد عمل متفق عليها والحفاظ على مصالحها، من خلال رصد النشاط الذي يسعى الرئيس الفرنسي إلى استعادة الزخم للدور الفرنسي في الملفات الدولية، ومن الأمثلة ذات النزوع الصريح يكمن في الإيحاء على التعاون مع روسيا، ركزت على المحاور الأساسية كالأزمة السورية والأوكرانية، يتجلى في إعادة صوغ نشاط في التعاطي مع الأزمة الأوكرانية، حيث روسيا طرف بشكل أو بآخر مؤثر ومتأثر بالأزمة، في الوقت الذي كان قد أظهر فيه ماكرون ذات التفاعل مع الأزمة السورية، وأطلق مواقف جديدة قيل عنها انها براغماتية إذ اقترب فيها قليلا من موقف موسكو حين قال إن الأسد عدو الشعب السوري وليس عدو فرنسا وإن رحيله لم يعد شرطاً مسبقاً النسبة لباريس¹⁶.

وتأسيساً على الواقعية التي فرضت على دول الاتحاد الأوروبي ومنها فرنسا أن تكون طرفاً في أزمات الإقليم المضطرب، تحاول من خلال ذلك أن تلعب دوراً أصيلاً ، ويمكن الإشارة هنا إلى تأكيدات الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون على أن الأزمة السورية حظيت باهتمام من جانب التعاون الدولي إذ تعكس عزماً دولياً على مقارنة المسألة السورية بشكل شامل، كما تعبر عن انخراط فرنسا ودول الاتحاد الأوروبي في الجهود الدولية، وبذلك يضمن وقف إطلاق النار وإطلاق عملية سياسية، حيث تفقد فرنسا تحركاً دبلوماسياً للدفع باتجاه توسيع الهدنة التي أقرها قرار مجلس الأمن بقراره 2401 في

25 شباط / فبراير 2018 لتشمل مختلف المناطق في سوريا، وأن تشمل الغوطة الشرقية في محيط دمشق، وعفرين شمالاً¹⁷

وفي المقابل بخصوص قناعته العميقة يؤكد ماكرون أن هناك حاجة إلى خريطة طريق سياسية ودبلوماسية في سوريا لأن هذه المسألة لا يمكن أن تحل فقط بالوسائل العسكرية، وقد أظهرت التجربة العسكرية خطأ ارتكبناه بشكل جماعي، وبناء عليه أن أهم ما جاء به ماكرون والذي يمثل التعديل الحقيقي الذي أدخله على سياسة بلاده، أنه لم يطالب بأن يكون تنحي بشار الأسد شرطاً لكل شيء بقوله لا أحد قدم لي بديلاً شرعياً عنه.¹⁸

ومنه ينبني الحديث عن مسؤولية الحماية في حال وجود تدخل عسكري بسبب انهيار الدولة وضعفها عن القيام بمسؤولياتها يجب أن يكون هناك التزام بمساعدة الفواعل الدولية، في هذا السياق تنطلق رؤية الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون -إلى نقل التركيز على المبدأ المعياري في حماية الشعوب، وتتجسد خلال استقباله في شباط 2018، في قصر الإليزيه وفدا من قوات سوريا الديمقراطية، فقد سبق أن أشاد ماكرون بالتضحيات وبالدور الحاسم لهذه القوات في مكافحة تنظيم داعش الإرهابي وأكد في الوقت نفسه التزام فرنسا ضد حزب العمال الكردستاني وتمسكه بأمن تركيا لكنه دعا أيضاً إلى حوار بين تركيا وقوات سوريا الديمقراطية¹⁹

تأسيساً على ذلك ، عندما تعتقد دولة أن معيار مسؤولية الحماية يتطلب التدخل وأن مصلحتها الوطنية مهددة من الدولة المستهدفة أو أن هيبتها قد تضررت فإنها تبدأ في أخذ قرار التدخل في الاعتبار. ويمكن أن تبدأ دولة أخذ التدخل في الاعتبار فقط لأنها تعتقد أن معيار مسؤولية الحماية ينطبق أو أن هناك فقط تهديداً للمصلحة الوطنية أو هيبة متضررة سابقاً ولكنها تميل على الأرجح بصورة خاصة إلى التدخل إن تطلب معيارين عاملين أو ثلاثاً من هذه المعايير على التدخل²⁰

وهكذا نجد أن السياسة الأوروبية بدأت تأخذ انطلاقة نحو عملية تتطلب إدامة التواجد الإستراتيجي، سيما وأنّ الاعتبار التاريخي لعبت دوراً أساسياً في ميلاد مشروع الاتحاد من أجل المتوسط ، وهذا أمر يجري تفهمه تاريخياً وضمن سياقه.

وعليه لا يخطئ من يعتقد، أن الاتحاد الأوروبي يقيم منطقة البحر الأبيض المتوسط على أنها منطقة ذات نفوذ أوروبي، ومن هذا المنطلق، نجد أن المشروع يهدف إلى كسر الهيمنتين الأمريكية والروسية في المنطقة معاً على حدٍ سواء. ولم يقتصر التعديل الإستراتيجي على مكانة الاتحاد الأوروبي فحسب بل أسهم بشكل أساسي أنه يبحث عن عمق إستراتيجي يتعدى البحر الأبيض المتوسط، ويعكس حاجة فرنسا والاتحاد الأوروبي إلى منفذ طبيعي يوسع مجالهم الجغرافي والسياسي في ظروف عالمية تُلزم بتوسيع التكتلات الاقتصادية السياسية الإقليمية في إطار مجارة التحولات في ليبيا التي أعادت

تركيب الأدوار، فإن ما ينبغي تسجيله في هذا الصدد هو أن مجالات جديدة أخذت في التشكل، وبهذا المنحى نشأت إمكانات لتقاسم الأدوار.

المحور الثاني: المصلحة الوطنية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر

1. خصوصيات السياسة الخارجية الأمريكية في عهد كلينتون:

من أبرز تقاليد برامج الحزب الديمقراطي الأمريكي التركيز على المسائل المتعلقة بقضايا الاقتصاد والانفتاح الاقتصادي، وتشجيع نماذج الحكم الديمقراطية، واحترام المنظومة الدولية لحقوق الإنسان في العالم، وتميزت السياسة الخارجية الأمريكية في عهد بيل كلينتون بالاعتدال والاهتمام الكبير بالسلام حتى سميت سياسته الخارجية (بالولسونية الجديدة) .

اهتمام الولايات المتحدة بالسلام نابع من خوفها من حدوث نزاع كبير يهدد تفوقها، وتكمن استراتيجية كلينتون المفضلة للمحافظة على السلام في المحافظة على الوجود الأمريكي في أوروبا وآسيا مع المحافظة على علاقات وثيقة مع القوى الكبرى الأخرى، ودعم جهود السلام الإقليمية حيثما يكون ذلك ملائماً، وتستند هذه الاستراتيجية على الاعتقاد بأن الوجود العسكري الأمريكي المتقدم مازال هو الحاجز المعتمد عليه أمام المنافسين الجدد من القوى الكبرى²¹ .

قامت الاستراتيجية العامة للسياسة الخارجية لإدارة كلينتون على أربعة مبادئ أساسية:

1. السعي إلى كبح التنافس الأمني وتخفيض مجازفة حدوث حرب كبيرة في أوروبا وشرق آسيا والشرق الأوسط، وذلك بتدعيم وجودها العسكري في كل من هذه المناطق .
2. عملت الإدارة الأمريكية على تخفيض تهديد أسلحة الدمار الشامل .
3. حاولت الإدارة الأمريكية تعزيز اقتصاد عالمي منتج ومفتوح، وهي ترى في ذلك أنه عامل هام لازدهار الاقتصاد الأمريكي²² .

4. بناء نظام عالمي ينسجم مع القيم الأمريكية عن طريق تشجيع نموذج الديمقراطية، وباستخدام القوة العسكرية ضد الإساءات إلى حقوق الإنسان الرئيسية .

تعتبر الصين أقوى قوة صاعدة على المستوى الدولي، وتتجه نحو تغيير الوضع القائم، لقد انتهجت إدارة كلينتون على عاتقها الضغط على الصين عن طريق سجل حقوق الإنسان وسعت الإبقاء الصين بعيدة عن تفويض مصالح الولايات المتحدة الهامة، ومنذ نهاية الحرب الباردة تفرض الولايات المتحدة حضرا على تصدير التكنولوجيا العسكرية إلى الصين، وفي أثناء قيام الانتخابات الرئاسية التايوانية العام 1996، ردت الولايات المتحدة على المناورات العسكرية الصينية لتخويف تايوان، كما عارضت إدارة كلينتون طلب الصين في أبريل 1999 الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، بسبب خوف كلينتون من معارضة الكونغرس²³ .

وبخصوص القارة الأمريكية في إطار الوسائل العسكرية حددت الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل العسكري في هايتي 1994 وأعاد الرئيس جان بيرتراند أريستيد.

اقتصاديا؛ نجح كلينتون في تمرير اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، كما استطاع فريقه الاقتصادي أن يعالج أزمة البيزو المكسيكي بمهارة في العام 1994، وعندما رفض الكونغرس تمويل صفقة دعم المكسيك، استخدم كلينتون سلطته التنفيذية للحصول على الأموال من " صندوق استقرار البورصة" وبتجاوزه الكونغرس استطاع كلينتون أن يمنع انهيار الاقتصاد المكسيكي²⁴.

أما القارة الإفريقية فكانت بعيدة نسبيا عن محور الاهتمامات الرئيسة لصانع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية، ومن أبرز الانتقادات التي وجهت لإدارة كلينتون تماطلها في التدخل في رواندا، وهو ما تسبب في حدوث مجازر هائلة، وسبق ذلك تدخلها الفاشل في الصومال، لسبب ذلك سارع كلينتون في توجيه اللوم إلى الأمم المتحدة بسبب انهيار الوضع في الصومال و دخل في صراع مع الأمين العام ل الأمم المتحدة بطرس غالي و استخدمت الولايات المتحدة نفوذها الدبلوماسي لإزاحة بوس غالي عام 1996

2. خصوصيات إدارة الرئيس جورج بوش:

على اعتبار أن الإدارة الحالية إدارة جمهورية يتزعمها الحزب الجمهوري منذ عام 2001 ، فإن السياسة الخارجية في هذه الفترة تختلف في جزئياتها عن السياسة الخارجية في عهد بيل كلينتون خاصة بعد بروز العديد من المتغيرات التي يأتي على رأسها الإرهاب الدولي.

فأحداث 11 سبتمبر 2001 أعطت أمريكا الفرصة لتزعم العالم و القيام بدور الزعيم على أكمل وجه ، خاصة بعد وضوح العدو المتمثل في العالم الإسلامي المقترن بالتطرف و العنف و منيع الإرهاب و الراعي له و المسجد لأطروحة صدام الحضارات التي قال بها صامويل هانتغتون ، فهذه الأحداث دعمت التوجه الأمريكي الساعي إلى الهيمنة على العالم من خلال الدبلوماسية القاهرة ؛ و تجنب ضرورة الالتحام بالعدو و الحفاظ على مسافة كافية بين الطرفين حتي لا تكتشف نقاط الضعف التي تحملها بين طياتها.

والمتمثل إلى السياسية الخارجية للرئيس جورج بوش يجد أنها تتميز عن السياسة الخارجية في عهد بيل كلينتون إذ اقترنت ببروز العديد من المصطلحات و على رأسها " الحرب الوقائية "التي تبرر استخدام القوة العسكرية لإزالة تهديد متخيل أو ملفق كما جرى في العراق²⁵، و إتسمت من ناحية أخرى بالطرح الإيديولوجي اليميني بعديه السياسي و الديني الذي يملك تصورات تتعدى و تتجاوز الحدود الأمريكية إلى العالم ككل الأمر الذي جعل الدين مكون أساسي في السياسة الخارجية الأمريكية.

على صعيد آخر أصبحت توظف ثلاث عناصر لتحقيق المصالح القومية الأمريكية و أن كانت في عهد بيل كلينتون ليست على قدر الأهمية مما عليه في الإدارة الحالية و هذه العناصر هي (الهيمنة الدينية و الثقافية إلى جانب ممارسات القوة بمستوياتها) ؛ إذ أن الجمهوريين يرون أن متغير القوة شهد تراجعاً خلال عهدي بيل كلينتون و هو ما لا تسمح به إدارة الجمهوريين الساعية إلى نشر القيم ببعديها السياسي و الديني إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية من خلال هيئة الأمم المتحدة و الحلف الأطلسي و البنك العالمي و صندوق النقد الدولي²⁶ .

أن سياسة التدخل الأمريكية البارزة عقب إحداث 11 سبتمبر 2001 في كل من أفغانستان و العراق و حتى في الحرب الإسرائيلية على لبنان و التي كانت بيد أمريكية فان هذه السياسة تتبلور من خلال المرجعية الدينية للإدارة الحاكمة ؛ إذ تضع في صلب الأولويات حماية أمن إسرائيل كما كلفتها هذه التوجهات من الحرب على الإرهاب إلى رعاية المصالح القومية لها زيادة في الاعتماد على التوجهات الاقتصادية (حصار ، فرض عقوبات اقتصادية التي أخذت مكان المواجهة أو التهديدات العسكرية حيث تعتبر الإدارة الحالية إدارة حرب وفي هذا الصدد تختلف عن الإدارة السابقة التي تميزت بدرجة أكبر بالجانب الاقتصادي .. الخ²⁷ من جهة ومن أخرى العودة إلى أفكار ماكس فيبر .

ومهما يكن فان من الأهداف الأساسية السير قدما نحو تكريس العولمة الاقتصادية التي تحول المواجهات العسكرية إلى اقتصادية و تعطي شعورا بالتفوق الاقتصادي من جهة و من أخرى تغطية الفضائح التي تهز الداخل الأمريكي خاصة بعض الفاعلين في سياسة الولايات المتحدة

تبقى الصين من الدول العظمى التي كانت تستقطب الاهتمام الأمريكي قبل الحادي عشر من سبتمبر و بعده فإدارة الرئيس جورج والكر بوش مقتنعة أن من ابرز التحديات تحدي بروز الصين كقوة اقتصادية منافسة لها و هنا تأتي السياسة الخارجية للولايات المتحدة تتبنى فكرة منع الصين من الوصول إلى مكانة المنافسة الاستراتيجية . ومع ذلك تبقى ترى ضرورة التعاون معها للاستفادة من دعمها للحرب على الإرهاب و كذا إدارة التسلح في المنطقة من خلال ردع كوريا الشمالية و إيران على نطاق أضيق²⁸ .

فحضور الصين في المناطق التي تتدد بها واشنطن مثل و تعتبرها دولا لمحور الشر (سوريا إيران و السودان) و التي أصبح لها نفوذ في هذه المناطق أكثر من أمريكا في ذلك . جعل السياسة الخارجية الأمريكية ترسم أهداف قصيرة المدى لذلك من خلال تفويض جهود الصين في أن تصير قطب عالمي .. و الهدف البعيد المدى هو محاولة تغيير النظام الصيني خاصة في ظل التقارب الروسي - الصيني ومن الوسائل المعتمدة لتحقيق ذلك الوسائل الاقتصادية من خلال تطوير الصين بمجموعة من المنظمات الاقتصادية و تضيق الخناق عليها .

3. الرئيس ترامب واستراتيجية القوة الخشنة

يتبنى الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب مجموعة من المواقف المختلفة، التي تبدو أنها متعارضة مع سلفه الرئيس بارك أوباما، حول كثير من القضايا الدولية والإقليمية، فهو من أتباع مبدأ العزل والانكفاء الداخلي، بهدف اعطاء الأولوية للاقتصاد على القضايا الدولية الأخرى، فهو لا يريد أن تلعب أمريكا دور شرطي العالم، عبر التدخل في الأزمات والصراعات، إلا التي كانت مرتبطة بتحقيق مصالح أمريكا بالدرجة الأولى، وعندها يكون التدخل مبرر من أجل تحقيق مصالح الولايات المتحدة المختلفة.

ومن خلال خطابه الأساسية، والتي تم الاعتماد عليها في هذا التحليل يمكن الوقوف على عدد من المبادئ أو المنطلقات الأساسية للسياسة الخارجية للمرشح الرئاسي دونالد ترامب:

1. يتبنى ترامب في سياسته الخارجية مبدأ "أمريكا أولاً" كالمهدف العام من سياسته الخارجية بمعنى أنه لا يجب على أمريكا أن تؤمن مصالح غيرها أو تضعها في اعتبارها بالقدر الحالي، مع ضرورة الالتزام بالمصالح الأمريكية والتعامل معها على أساس أنها الدافع الأساسي لأي تحرك على مستوى السياسة الخارجية. فأمريكا ليس عليها أن تتحمل عبء حماية أو دفاع عن دول أخرى دون مقابل.

2. يعد ترامب من أصحاب مبدأ العزلة في السياسة الخارجية حيث يرى أن الولايات المتحدة ليس عليها أن تتدخل في تنظيم شئون العالم من حولها وحل مشاكله، ويتجنب في سياسته الحديث عن العالمية لذا يغلب على خطابه الروح القومية بل ويعظم من أهمية الدولة القومية كما أشار صراحةً في خطابه عن سياسته الخارجية.

3. لا يؤمن ترامب بفكرة التدخل الإنساني "كأساس أو دافع للتدخل في الشأن الداخلي للدول. فطالما الأمر لم يمس المصالح الأمريكية فلا داعي لتورط القوات الأمريكية والسياسة الأمريكية في هذا الشأن. لكن عندما يتعلق الأمر بمصالح الولايات المتحدة يجب عليها التدخل العسكري الأحادي الذي لا تعتمد فيها على أطراف أخرى".²⁹

4. يقف ترامب ضد الهجرة فهو أكثر توجهاً للتأكيد على أن الولايات المتحدة تقتصر على مواطنيها فهو يسعى إلى تقليص معدل الهجرة إلى الولايات المتحدة بل أحياناً يصل إلى حد منع فئات معينة من الانتقال إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

مما يعني أن ترامب سوف يتبنى استراتيجية جديدة، تركز على مصلحة أمريكا أولاً، عبر تبني سياسة خارجية تقوم على تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بعيداً عن العواطف والقضايا الإنسانية، فهو يتجنب الحديث عن العالمية

لذا يغلب على خطابه الروح القومية بل ويعظم من أهمية الدولة القومية كما أشار صراحةً في خطابه عن سياسته الخارجية. ويعد الرجل من أصحاب نظرية العزلة بعدم التدخل في شئون الآخرين، حيث يتبنى استراتيجية تقوم على عدم تدخل أمريكا في تنظيم شئون العالم من حولها وحل مشاكله³⁰

الخاتمة:

في سياق متابعة السياسة الفرنسية الجديدة في استيعاب التغييرات المتسارعة ومواكبتها والتي فرضت عليها صوغ تصوراتها، انطلاقاً من عمقها الجغرافي الحيوي وإظهار قوتها، إذ أن المصالح الإستراتيجية والتحديات الأمنية شكلت منطلقاً للتوجهات الفرنسية الجديدة بما يتوافق مع مصالحها فمنذ وصول الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، اتبعت الحكومة الفرنسية بناء توجه إستراتيجي متعددة الأبعاد منحنتها القوة والفاعلية وأن تلعب دوراً في محيطها الجغرافي .

مازالت السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب في طور التشكيل، بسبب عدم وضوح الفريق المساعد للرئيس الأمريكي الجديد بشكل كامل حتى الآن، والتناقض في بعض التصريحات والمواقف

السياسية للرئيس الجديد، حول العديد من قضايا منطقة الشرق الأوسط خلال فترة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، رغم ذلك في فأن ما يمكن التأكيد عليه هو أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية تجاه منطقة الشرق في ظل حكم الرئيس ترامب لن تكون امتداداً لسياسة جورج بوش الأب عن القوة الخشنة، أو استمراراً لسياسة بارك أوباما عبر القوة الناعمة وإنما سوف تكون خليط بين هذا وذلك، خاصة في ظل رغبة الرئيس ترامب في تقليل التدخل العسكري لأمريكا بما يضمن تحقيق المصالح القومية للولايات المتحدة الأمريكية، عبر بناء علاقات جيدة مع حلفاء أمريكا التقليديين بهدف التصدي لخطر الإرهاب الدولي، والقضاء على قدرات الجماعات الإرهابية، قبل أن تصبح تهديداً وشيكاً للولايات المتحدة الأمريكية ورغم أهمية معرفة ملامح السياسة الخارجية الأمريكية خلال فترة حكم ترامب بهدف الاستعداد للتعامل معها بالشكل المناسب، إلا أنه يتوجب على العرب والمسلمين ان يكفوا عن المراهنة على الانتخابات الأمريكية ونتائجها، ويعتمدوا على أنفسهم، عبر الاستخدام الأمثل للأوراق السياسية والاقتصادية التي يملكونها في التعامل مع سياسة إدارة ترامب التي سوف تأخذ طابع الصفقات التجارية باعتباره رجل أعمال وليس رجل سياسة.

الهوامش:

- ¹ عائد عميرة ، ماكرون رئيساً، فهل تشهد فرنسا تغييراً؟ الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ (8 /مايو 2017) ، على الرابط التالي <https://www.noonpost.org/content/17883> :
- ² صحيفة العرب، العدد (10940)، لندن، 2018، ص 5.
- ³ فرنسا ماضية في إعادة هيكلة منظومة الإسلام، صحيفة العرب، العدد (10905)، لندن، 2018، ص 13.
- ⁴ رافدي عبد الله ، الجيوبوليتيكا الحضارية للمتطرف في دول المتوسط ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (209) ، القاهرة ، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2017) ، ص 15
- ⁵ حسين عدنان هادي ، اليمين المتطرف في أوروبا الجذور الأفكار السياسات ، مجلة أبحاث إستراتيجية ، العدد (17) ، بغداد ، مركز بلادي للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2018) ، ص 116.
- ⁶ ابتسام نجيب، اليمين المتطرف في انتخابات الرئاسة الفرنسية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (209) ، القاهرة ، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2017) ، ص 132.
- ⁷ صحيفة العرب، العدد (10953)، لندن، 2018، ص 4.
- ⁸ عماد قدورة، محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أوكرانيا بورة للصراع ، مجلة سياسات عربية ، العدد (9) ، (بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2014 ،) ، ص 45.
- ⁹ خطار ابو دياب ، فرنسا - إيران: الاختبار الكبير للوسطية الماكرونية، صحيفة العرب ، العدد (10868) ، لندن ، 2018 ، ص 9
- ¹⁰ تيري ل ديبيل ، إستراتيجية الشؤون الخارجية: منطق الحكم الأمريكي ، ترجمة : وليد شحادة ، (بيروت ، دار الكتاب العربي، 2009) ، ص 251

- ¹¹ التقرير الاستراتيجي هو بمثابة تحديث لـ (الكتاب الأبيض للدفاع والأمن القومي) الذي أقر عام (2013) في عهد الرئيس الفرنسي السابق (فرنسوا هولاند). (Francois Hollande-صحيفة الشرق الأوسط ، العدد (14198) ، الرياض ، 2017 ، ص 10 ،
- ¹² صحيفة العرب، العدد (10903) ، لندن، 2018، ص 6.
- ¹³ جلال سلمي، ماكرون والسياسة الفرنسية حيال الشرق الأوسط، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) ، بتاريخ (2017/5/25) ، على الرابط التالي www.noonpost.org/content/18134 :
- ¹⁴ المتوسط: المدى الحيوي لمصالح فرنسا الاستراتيجية ، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) ، بتاريخ (22 أكتوبر 2016) ، على الرابط التالي <https://aawsat.com/home/article> :
- ¹⁵ ماكرون يعرض رؤيته حول تحول عميق للاتحاد الأوروبي، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) ، بتاريخ (2017/9/26) ، على الرابط التالي www.france24.com/ar/20170926 :
- ¹⁶ خطار ابو دياب مصدر سبق ذكره ، ص 9.
- ¹⁷ صحيفة الشرق الأوسط ، العدد (14093) ، الرياض ، 2017 ، ص 10.
- ¹⁸ خالد اسماعيل، الدور الفرنسي في سوريا الموقف والأهداف، مجلة أبحاث إستراتيجية ، العدد (17) ، (بغداد ، مركز بلادي للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2018)، ص 198.
- ¹⁹ صحيفة العرب ، العدد (10913) ، لندن، 2018 ، ص 1.
- ²⁰ ميشال ابو نجم ، مصدر سبق ذكره ، ص 7
- ²¹ - قاسم عبد الستار، الاستراتيجية الأمريكية الجديدة و انعكاساتها على العرب، التقرير السنوي لمجلة البيان ، عدد 2 ، 2004 ، ص 320.
- ²² - نفس المرجع ، ص 320 .
- ²³ - ستيفن وولت، مرجع سابق ، ص 07 .
- ²⁴ - المرجع السابق ، ص 8 .
- ²⁵ - غازي حسين، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية ، دمشق منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2005، ص 92- 94 .
- ²⁶ - ترتريه برينو ، مرجع سابق ، ص ص (248- 252) .
- ²⁷ - ترتريه برينو ، مرجع سابق ، ص 246.
- ²⁸ -Barry R.Bozen ،Command of the common ; the military foundation of u.s hegemony، international security ، vol 28، no.1،(summer 2003). P 13.
- ²⁹ منصور أبو كريم ،أبرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد فوز ترامب.. [/http://www.al-bayader.org/2017/01/55777](http://www.al-bayader.org/2017/01/55777)
- ³⁰ منصور أبو كريم ،أبرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد فوز ترامب.. [/http://www.al-bayader.org/2017/01/55777](http://www.al-bayader.org/2017/01/55777)